التعقيد اللفظي وأثره في فصاحة الكلام

Verbal complexity

الأمين الطيب الطاهر *

* **أستاذ مشارك – جامعة وادي النيل**

المستخلص

تناولت هذه الدراسة أحد أهم عيوب فصاحة الكلام, وثالثها في الترتيب, وهو التعقيد اللفظي, وقد عرَّفته الدراسة بأنه: (كون الكلام خفي الدلالة على المعنى المراد به, حيث تكون الألفاظ غير مرتبة على وفق ترتيب المعاني بسبب تقديم أو تأخير أو حذف أو إضمار أو فصل بأجنبي بين الكلمات التي يجب أن تتجاور). قد فصَّلت الدراسة هذا التعريف ووقفت على عدد كبير من الشواهد التي شرحنا فيها وبها التعقيد اللفظي, وفصَّلت الدراسة ما يسمي بـ (المعاظلة) وأنَّ المعاظلة المعنوية والتعقيد اللفظي يدلان على شيء واحد. تحدَّثت الدراسة عن أقسام التعقيد اللفظي وعن عدم حاجته إلى قرينة لتدل على المحذوف, وتحدَّثت عن علاقة التعقيد اللفظي بالتعقيد المعنوي وضعف التأليف. توَّصلت الدراسة لعدد من النتائج منها: **(١)** إنَّ التعقيد اللفظي من أكبر عيوب فصاحة الكلام وأوسعها. **(٢)** إنَّ التعقيد اللفظي والمعاظلة المعنوية اسمان لمسمي واحد. توَّصلت الدراسة لعدد من التوصيات منها: **(١)** قيام دراسة موسَّعة ومفصَّلة لعيب التعقيد اللفظي. **(٢)** الاهتمام بدراسة وضبط المصطلحات البلاغية.

الكلمات المفتاحية: الألفاظ، التعقيد اللفظي، الكلام، فصاحة الكلام

Abstract

This study handles one of the most important defect of eloquence, and the third one in order, which is "verbal complexity". In this study it is defined as: the fact that the speech is a hidden indication if the intended meaning, where the words are not arranged according to the order of the meaning due to the introduction, delay, deletion, impingement or separation between the words that must be crossed. The study sifts this definition and stands on a large number of evidences in which verbal complexity is explained. Moreover, the study talks about the divisions of verbal complexity, and its lack of need for a presumption to indicate the deleted. Is also talks about the lack of relationship of verbal complexity with moral complexity and weakness of composition. The study comes up with a number of results including: (1) The verbal complexity is one of the biggest and widest defects in eloquence. (2) Both and moral complexity are same. The study recommends the following: (1) Carrying out extensive and detailed study of verbal complexity defect. (2) Taking mush care about studying and adjusting rhetorical terminology.

Keywords: profanity, verbal complexity, speech, eloquence

مشكلة الدراسة:

تأتي مشكلة الدراسة في أن عيوب فصاحة الكلام عندما حُدِّدت ظهر عيب التعقيد عيباً واحداً وبعد ذلك فصل إلى التعقيد اللفظي والتعقيد المعنوي فكان بينهما خلط, ومما زاد الخلط بينهما إطلاق المعاظلة المعنوية على التعقيد اللفظي, والمعاظلة اللفظية على التعقيد المعنوي, لذلك كان لابد من قيام دراسة توضِّح التعقيد اللفظي وتحدِّده.

تساؤلات الدراسة:

1. ما هو التعقيد؟
2. ما هو التعقيد اللفظي؟
3. ماهي المعاظلة؟
4. ما العلاقة بين التعقيد اللفظي والمعاظلة؟
5. ما العلاقة بين التعقيد اللفظي وضعف التأليف؟

أهداف الدراسة:

1. معرفة عيب التعقيد.
2. معرفة عيب التعقيد اللفظي.
3. معرفة العلاقة بين التعقيد اللفظي والمعاظلة.
4. القدرة على التفريق بين التعقيد اللفظي والمعاظلة.
5. معرفة العلاقة بين التعقيد اللفظي وضعف التأليف.

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية هذه الدراسة في أنها تتناول أحد أهم عيوب فصاحة الكلام, وهو عيب كثير العلاقات مع العيوب الأخرى, وربما يذكر بأكثر من مصطلح في كثير من الكتب, فيمكن أن يقال إن هذا الشاهد تعقيد أو تعقيد لفظي أو معاظلة أو معاظلة معنوية كلها مراد بها شيء واحد.

منهج الدراسة:

تتبع هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي.

الدراسات السابقة:

1. كتاب علوم البلاغة "البديع البيان والمعاني", التأليف: محمد أحمد قاسم محي الدين – المؤسسة الحديثة للكتاب – طرابلس – لبنان – سنة ٢٠٠٣م – يقع الكتاب في ٣٧٥ صفحة.

تناول الكتاب علوم البلاغة الثلاث, وفصَّل فيها تفصيلاً مفيداً. وفي معرض حديثه عن الفصاحة تحدث عن الكلام الفصيح موضحاً أنه الذي يسلم من عدد من العيوب ذاكراً العيب رقم "٣" التعقيد اللفظي وعرَّفه بقوله: "رأي البلاغيون أن التعقيد اللفظي يعني أن يأتي الكلام خفي الدلالة على المعنى المراد لخلل واقع في نظمه وتركيبه ..."

وأورد في كتابه الأمثلة للتعقيد اللفظي من الشعر العربي بمختلف عصوره.

2. الفصاحة والبلاغة شرح وأمثلة: بقلم عبد الشكور معلم عبد فارح – تاريخ الإصدار ٢٠٢٠/٤/٥م, موقع الألوكة.

يتحدث في دراسته عن الفصاحة والبلاغة بالشرح والتفصيل, وفي حديثه عن عيوب فصاحة الكلام عرَّف التعقيد اللفظي بقوله: "هو سوء في ترتيب الكلمات كتقديم بعضها أو تأخيرها, مما يؤدي إلى خفاء المعنى المراد" وقد أورد بعض الأمثلة لما ذهب إليه.

3. الفصاحة والبلاغة: بقلم: محمد أبو الفتوح غنيم, ديوان العرب, ٢٠٠٨/١٠/١٠م www.diwanalarab.com .

تحدَّث في بحثه عن الفصاحة والبلاغة وفصَّل فيهما وذكر فصاحة الكلمة والكلام والمتكلم مفصلاً عيوب فصاحة الكلام, وعرَّف التعقيد اللفظي بقوله: "أن تكون الكلمات مرتبة على خلاف ترتيب المعاني".

أهم النتائج:

1. إن التعقيد اللفظي من أكبر عيوب فصاحة الكلام وأوسعها.
2. إن التعقيد اللفظي والمعاظلة اسمان لمسمي واحد.
3. إن التعقيد اللفظي والمعاظلة وضعف التأليف بينهما مواضع التقاء ومواضع اختلاف.
4. إن التعقيد اللفظي وضعف التأليف لا يشترط وجود أحدهما لوجود الآخر.
5. إن التعقيد اللفظي بالحذف ليس شرطاً لوجود قرينة تدل عليه.

أهم التوصيات:

1. قيام دراسات موسَّعة ومفصَّلة لعيوب فصاحة الكلام.

2. قيام دراسة مفصَّلة في العلاقة بين عيوب فصاحة الكلام.
3. الاهتمام بالدراسات الرابطة بين فروع الدرس اللغوي.
4. قيام دراسة موسَّعة مفصَّلة للتعقيد اللفظي.
5. الاهتمام بدراسة وضبط المصطلحات البلاغية.

التعقيد اللفظي:

حيث كان الغرض من الكلام إيصال المعاني التي تدور في عقل صاحبها إلى المخاطبين, وحتى تصل هذه المعاني بكل وضوح لا لبس فيه ولا غموض, وصورة جميلة ومعرض حسن, فلابد لهذا الكلام من مميزات وخصائص وضوابط, فأول هذه الضوابط للكلام أن يكون فصيحاً.

والفصاحة معناها في اللغة: البيان والظهور والوضوح, أما معناها في الاصطلاح فقد ذكر لها العلماء تعريفات كثيرة, جاء في كتاب "تحرير التحبير": (أما الفصاحة فمختلف فيها, فمن قائل بأنها جزالة اللفظ, وحسن المعنى, وقِيل الاقتدار على الإبانة عن كل معنى كامن في النفس بعبارات جليلة, ومعان نقية بهية, والذي صحَّ في تعريفها: أنها خلوص الألفاظ من التعقيد المبعد عن إدراك معانيها, وعن العيوب التي تعرض لها.)[1], ويقول السيد الهاشمي: إنّ الفصاحة: (عبارة عن الألفاظ البينة الظاهرة المتبادرة إلى الفهم والمأنوسة الاستعمال بين الكتاب والشعراء لمكان حسنها.)[2]

الفصاحة كوصف تطلق على الكلمة أو اللفظ وتطلق على الكلام, وتطلق على المتكلم, وذلك وفق شروط وضوابط.

فتوصف الكلمة بالفصاحة إذا سلمت من أربعة عيوب هي:.

أ- تنافر الحروف.
ب- غرابة الاستعمال.
ت- مخالفة القياس.
ث- الكراهة في السمع.

(١) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن, المؤلف: عبد العظيم بن عبد الواحد إبن الأصبع العدواني, تحقيق: حنفي محمد شرق, الناشر: الجمهورية العربية المتحدة, المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ج ١, ص ٤٢٢.

(٢) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: السيد أحمد بن إبراهيم بن مصطفي الهاشمي, توثيق: يوسف الصملي, الناشر: المكتبة العصرية, بيروت, ص ٩ ١

ويوصف الكلام بالفصاحة إذا كانت الكلمات المكونة له فصيحة سالمة من عيوب فصاحة الكلمة السبعة وهي:

أ. تنافر الكلمات مجتمعة.

ب. ضعف التأليف.

ت. التعقيد اللفظي.

ث. التعقيد المعنوي.

ج. التعقيد الوصفي.

ح. تتابع الإضافات.

خ. كثرة التكرار.

وعيوب التعقيد جاء ذكرها في مؤلفات علماء البيان, قديمهم وحديثهم, فهذا أبو حيان التوحيدي يحصر عيوب الفصاحة في التعقيد بقوله: (الفصاحة: خلوص اللسان من التعقيد)[1]. فهو لم يقسم التعقيد بل ذكره عيباً واحداً, ويقول ابن الأصبع العدواني: (والذي صحَّ في تعريفها: أنها خلوص الألفاظ من التعقيد المبعد عن إدراك معانيها)[2].

فهو هنا قد خصص التعقيد (بالمبعد عن إدراك معانيها), ولعله كذلك يشير إلى قسمي التعقيد "اللفظي والمعنوي" لأنهما يُبعدان عن إدراك المعنى المراد, يقول شهاب الدين الإبشيهي: (قال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى: (اعلم إن الفصاحة خلوص الكلام من التعقيد.)[3], وقول الرازي الذي نقله الإبشيهي يحمل معنى إن أهم شرط في فصاحة الكلام خلوصه من التعقيد, وإن كان مع سابقيه قد ذكروا التعقيد وحده عيباً لفصاحة الكلام, وهذا جعفر بن يحيي البرمكي يقول عن البيان: (أن يكون اللفظ محيطاً بمعناك كاشفاً عن مغزاك, وتخرجه من الشركة, ولا تستعين عليه بطول الفكرة, ويكون سليماً من التكلف, بعيداً عن سوء الصنعة, بريئاً من التعقيد غنياً عن التأمل.)[4]

فهذه العيوب التي ذكرها جعفر البرمكي للفظ هي من عيوب فصاحة الكلام وإن لم تكن بأسمائها الاصطلاحية التي وردت في مؤلفات اللاحقين, جاء في بغية الإيضاح: (وأما فصاحة الكلام: هي خلوصه من ضعف التأليف,

(١) البصائر والذخائر: أبو حيان التوحيدي على بن محمد العباسي, تحقيق: وداد القاضي, الناشر: دار صادر, بيروت, ط ١ ١٩٨٨م, ج ٥, ص ١٢١.

(٢) تحرير التحبير: إبن أبي ذي الأصبع, ج ٥, ص ١٢١.

(٣) المستطرف في كل فن مستظرف: شهاب الدين محمد أحمد ابن منصور الإبشيهي أبو الفتح, الناشر: عامل الكتب, بيروت, ط ١٤١٩ هـ, ص ٥٠

(٤) جواهر البلاغة: السيد الهاشمي, ص ٤٣

وتنافر الكلمات والتعقيد مع فصاحتها.)[١] – الهاء في فصاحتها راجعة للكلمات لأن فصاحة الكلمة شرط من فصاحة الكلام – ذكر في هذا التعريف ثلاثة عيوب لفصاحة الكلام, شاملاً بها كل العيوب, وجاء في كتاب صبح الأعشى متحدثاً عن متي يكون الكلام فصيحاً, يقول: (وإنما يتم له ذلك إذا عري عن الأشياء الآتية:

1. تنافر الكلمات مجتمعة, ويدخل فيه كثرة التكرار وتتابع الإضافات.
2. ضعف التأليف.
3. التعقيد اللفظي.
4. التعقيد المعنوي.)[٢]

وبعد دراسة موسعة لعيوب فصاحة الكلام, أضفنا في دراسة سابقة عيب (التعقيد الوصفي) وحددنا له تعريفه وضوابطه وشواهده, وفي هذه الورقة البحثية سنتناول العيب الثالث وهو التعقيد اللفظي بالدراسة والتفصيل.

تعريف التعقيد اللفظي:

التعقيد لغة: التعقيد من (عقد: الأعقاد والعقود: جماعه عقد البناء وعقَّده تعقِيداً, أي جعل له عقوداً, ونحوه فأنعقد, والعُقْد: موضع العقد من النظام ونحوه, وتعقَّد السحاب إذا صار كأنه عقد مضروب مبني.)[٣], وجاء في لسان العرب: وعَقّد: بنى عقداً, والعقدُ: عقدُ طاق البناء, وقد عقَّد البنّاء تعقيداً, تعقيد القوس في السماء إذا صار كأنه عقد مَبْني, وتعقَّد السحابُ: صار كالعقد المبنيّ.)[٤]

ويأتي التعقيد وصفاً للكلام, جاء في الجوهر المكنون: (تعقيد هذا مصدر تفعيل مصدر عقَّد يُعقِّد تعقيداً, تعقيد أي: معقد...)[٥].

وجاء في شرح مائة المعاني: (والتعقيد: تفعيل من {عقَّد فعَّل الثلاثي}, يُقال: تعقيد الكلام أعيا فهمه بسوء تركيبه أو خفاء معناه إذا قيل كلام معقَّد يعني غير مفهوم بسبب ما.)[٦], ومن عدم فهم الكلام بوضوح بسبب ما, ما

(١) بغية الايضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة: عبد المتعال الصعيدي, الناشر: مكتبة الآداب ط ١٧ ٢٠٠٥م ج ١ ص ٦

(٢) علوم البلاغة "البيان, المعاني, البديع": أحمد بن مصطفي المراغي, الناشر, ص ٢٥

(٣) كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي, تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي, الناشر: دار ومكتبة الهلال, باب: العين والقاف والدال ج ١ ص ٤٠

(٤) لسان العرب: محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين إبن منظور, الناشر: دار صادر, بيروت ط ١٤١٤ هـ, فصل العين المهملة, ج ٣, ص ٢٩٧

(٥) شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاث الفنون: أبو عبد الله أحمد بن أحمد بن عمر بن مساعد, موقع الشيخ الحازمي http://alhazmee.net ج ٢, ص ٦

(٦) شرح مائة المعاني والبيان: أبو عبد الله أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي, مصدر الكتاب موقع الحازمي http://alhazmee.net ج ٢, ص ١٣

جاء على لسان موسي عليه السلام في قوله تعالى: (وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي)[١] يقول القرطبي: (يعني العجمة التي كانت فيه, من جمرة النار التي أطفأها في فيه وهو طفل, قال ابن عباس: كانت في لسانه رُثَّة)[٢].

اللفظي معناه في اللغة: لفظ الشيء معناه: أخرجه وألقاه, يقول الفراهيدي: (اللَّفظُ: أن ترمي بشيء كان في فيك, والفعل لفَظَ يلفظُ لفظاً, والأرض تلفِظُ الميت أي ترمي به, والبحر يلفظ بالشيء يرمي به إلى الساحل, والدنيا لافظةُ ترمي بمن فيها إلى الآخرة)[٣].

والتلفظ يعني التكلم, جاء في مختار الصحاح: (ولفظ بالكلام وتلفظ به تكلم به, وبابهما ضَرْبَ واللفظ واحد الألفاظ وهو في الأصل مصدر.)[٤], قال الله تعالى: (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)[٥] , يقول القرطبي: (ما يلفظ: أي {إبن آدم} أي: ما يتكلم بشيء إلا كُتب عليه)[٦], ولفظي: أي كلامي. وهو تعقيد لفظي, تعني الصعوبة في معرفة المراد من الكلام.

التعقيد اللفظي معناه في الاصطلاح:

في بداية التأليف البلاغي كان الحديث عن التعقيد بغير تقسيم, يقول أبو هلال العسكري: (التعقيد والإغلاق والتعقير سواء, وهو استعمال الوحشي وشدة تعليق الكلام بعضه ببعض, حتى يستبهم المعنى.)[٧]. وهو هنا لم يفصل بين نوعي التعقيد وساواه مع الإغلاق والتعقير, ويقول السكاكي في كتابه: (المراد بتعقيد الكلام هو: أن يعثر فكرك في متصرفه ويشيك طريقك على عكس المعنى ويوعى مذهبك نحوه حتى يقسم فكرك ويشعب ظنك على أن لا تدري من أين تتوصل وبأي طريق معناه يتحصل.)[٨].

والتعقيد التأليف كلام يصعب معرفة معناه, يقول ابن منقذ: (التعقيد هو: تعسير المعاني, وكذلك قال الأصمعي, أجود الشعر ما وصل معناه إلى القلب مع وصول لفظه إلى السمع.)[٩], وجاء في كتاب صبح الأعشى

---

(١) سورة طه الآية(٢٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن: تفسير القرطبي, محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي, تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أفطيش, الناشر: دار الكتب المصرية, القاهرة, ط ٢ ١٩٦٤م, ج ١١, ص ١٩٢.

(٣) كتاب العين : الفراهيدي, باب الظاء واللام والفاء, ج ٨, ص ١٦١.

(٤) مختار الصحاح: زين العابدين محمد بن أبي بكر الرازي, تحقيق: يوسف الشيخ محمد, الناشر: المكتبة العصرية, الدار النموذجية, بيروت, صيدا, ط ٥ ١٩٩٩م, ص ٢٨٣.

(٥) سورة ق الآية ١٨

(٦) تفسير القرطبي: ج ١٧, ص ١١.

(٧) الصناعتين: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد العسكري, تحقيق: علي محمد البجاوي وأبو الفضل إبراهيم, المكتبة العصرية, بيروت, ١٤١٩ هـ, ص ٤٥

(٨) مفتاح العلوم: يوسف بن أبي بكر بن محمد السكاكي أبو يعقوب, ضبطه وعلق عليه: نعيم زرزور, دار الكتب العلمية, بيروت, ط ٢, ١٩٨٧م, ص ٤١٦

(٩) البديع في نقد الشعر: أبو المظفر مجد الدين أسامة بن منقذ, تحقيق : أحمد بدوي وحامد عبد المجيد, الجمهورية العربية المتحدة, الإدارة العامة للثقافة, ص ١٤٦.

قوله في الكلام الفصيح: (أن يكون سليماً من التعقيد, وهو ألاَّ يكون الكلام ظاهر الدلالة على المعنى الذي يراد منه.)[١], أي التعقيد لا يكون مقصوداً المتكلم واضحاً, جاء في كتاب الصورة الأدبية: (التعقيد هو أن يكون الكلام خفي الدلالة على المعنى المراد لخلل واقع فيه.)[٢], وجاء في كتاب خصائص[٣] التراكيب عن معنى التعقيد: (وأما التعقيد فيراد به أن تكون الكلمات واقعة على صورة من التراكيب يغمض معها المعنى, ويلتوي معها القصد, فلا يدرك إلا بعد جهد طويل, والعرب لا يحبون الالتواء, وينفرون من الغموض الملبس ... وخير الكلام ما كان معناه في قلبك أسبق من لفظه إلى سمعك.)[٤]. وفي تطور دراسة التعقيد قسَّمه العلماء إلى قسمين جاء في صبح الأعشى:

(والتعقيد على ضربين:

- الضرب الأول: وهو الذي يسميه ابن الأثير (والمعاظلة المعنوية) أن لا يكون ترتيب الألفاظ على وقف ترتيب المعاني...[٤]
- الضرب الثاني: ألا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المعنى المراد لخلل في انتقال الذهن من المعنى الأول المفهوم بحسب اللغة إلى الثاني المقصود.)[٥]

وبعد تقسيم عيب التعقيد إلى قسمين: تعقيد لفظي, وتعقيد معنوي, أصبح كل عيب منهما يرد في كتب البلاغة منفصلاً. حيث يأتي التعقيد اللفظي في الترتيب ثالثاً في بعض المؤلفات بعد تنافر الكلمات وضعف التأليف.

ومن أقدم ما ورد له من تعريفات, ما ذكره الجرجاني في كتابه أسرار البلاغة, بقوله: (وأما التعقيد فإنما كان مذموماً لأجل أن اللفظ لم يرتب الترتيب الذي بمثله تحصل الدلالة على الغرض متى احتاج السامع, إلى أن يطلب المعنى بالحيلة, ويسعى إليه من غير الطريق.)[٦] فعدم وضوح الدلالة على الغرض بسبب عدم ترتيب الألفاظ هذا هو التعقيد اللفظي, يقول أبو الطيب المتنبي:

ولذا اسم أغطيةُ العيون جفونها من أنها عمل السيوف عوامل[٧]

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: أحمد بن على بن أحمد القلقشندي, دار الكتب العلمية, بيروت, ج ٢, ٢٨٩.

(٢) الصورة الأدبية تاريخ ونقد: علي علي صبيح, دارى التراث العربية, ص ١٤.

(٣) خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني: محمد محمد أبو موسي, مكتبة وهبة ط ٧, ص ٦٨.

(٤) صبح الأعشى, القلقشندي ج ٢, ص ٢٨٦.

(٥) المرجع السابق ج ٢, ص ٢٨٩.

(٦) أسرار البلاغة: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني, تحقيق: محمود محمد شاكر, الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة, ص ١٤٢.

(٧) شرح ديوان المتنبي: أبو الحسن على بن أحمد بن محمد الواحدي, ص ١٣٤.

هذا البيت فيه عدم ترتيب للألفاظ, نتج من تأخير كلمة (عوامل) إذ إن تقدير البيت: من أجل أن العيون عوامل عمل السيوف سميت أغطيتها جفوناً. أي أن الألفاظ لم تأت مرتبة حسب المعنى الذي تحمله, لذلك خرج البيت من الفصاحة.

يقول يوسف الدمشقي في معنى البيت: (وهو معنى في نهاية الحسن واللطف لو ساعده اللفظ)[١], ويقول فيه القاضي الجرجاني: (وإن كان قد تغلغل إلى معنى لطيف أحسن استخراجه لو ساعده اللفظ.)[٢]

ونجد القزويني يُعرِّف التعقيد اللفظي بقوله: أن لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد به... وأن يختل نظم الكلام ولا يدري السامع كيف يتوصل منه إلى معناه.)[٣], هذا تعريفه عند القزويني,[٣]ويأتي القزويني ليذكر سبب الخفاء لمراد المتكلم, بقوله: (... بأن لا يكون ترتيب الألفاظ على وفق ترتيب المعاني بسبب تقديم أو تأخير أو حذف أو إضمار أو غير ذلك مما يوجب صعوبة فهم المراد.)[٤]

واضح من تعريف القزويني, أن التعقيد اللفظي متعلق باللفظ أما تقديمه أو تأخيره, أو الفصل بين الألفاظ أو الكلمات التي يجب أن تتجاور فهو لا ينظر إلى معانيها بل لترتيبها في التركيب, وحديثاً عرَّفه السيد الهاشمي بقوله: (التعقيد اللفظي: كون الكلام خفي الدلالة على المعنى المراد به, بحيث تكون الألفاظ غير مرتبة على وفق ترتيب المعاني (وينشأ ذلك التعقيد من تقديم أو تأخير أو فصل بأجنبي بين الكلمات التي يجب أن تتجاور ويتصل بعضها ببعض.)[٥]

وتعريف الهاشمي وافٍ وشامل, ولكن بدراستنا له ولغيره من إسهامات علماء البيان في الفصاحة يمكن أن نقول: إن التعقيد اللفظي هو: كون الكلام خفي الدلالة على المعنى المراد, حيث تكون الألفاظ غير مرتبة على وفق ترتيب المعاني بسبب تقديم أو تأخير, أو حذف أو إضمار, أو فصل بأجنبي بين الكلمات التي يجب أن تتجاور.

وستتناول هذا التعريف بالشرح والتحليل لنقف من خلاله, على تفاصيل عيب التعقيد اللفظي.

قول التعريف:

(كون التركيب خفي الدلالة على المعنى المراد...)

---

(١) الصبح المنبى عن حيثية المتنبي: يوسف البديعي الدمشقي, الناشر: المطبعة العامرة الشرقية ط ١٣٠٨ هج ٢,ص ٥١

(٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه: أبو الحسن على بن عبد العزيز القاضي الجرجاني, تحقيق: أبو الفضل إبراهيم, على البجاوي, مطبعة عيسي البابي الحلبي, ص ٨٩

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة: محمد بن عبد الرحمن جلال الدين القزويني, تحقيق: محمد عبد المعنى خفاجي, دار الجيل , بيروت ط ٣,ص ٣٢

(٤)المرجع السابق ج ١,ص ٣٢

(٥) جواهر البلاغة: السيد أحمد الهاشمي ص ٣٣

لأن الأصل في الكلام هو إيصال معنى من المتكلم إلى المخاطب وهذا الكلام لابد أن يكون ظاهراً بيّناً واضحةً دلالته على المراد, ويأتي ذلك بأن تكون مفرداته صحيحة, أصيلة, تدل على معناها بلا قبح ولا غرابة, ويكون مركبه واضحاً بيَّناً يصل معناه إلى القلب مع وصول الألفاظ إلى السمع بغير تعسُّر ولا بطء من سوء ترتيب الألفاظ أو الفصل بين متجاورها أو إضمار أو حذف, ومثل ذلك البطء في فهم المعنى ما جاء في قول الشاعر الفرزدق:

وما مثله في الناس إلا مملكاً أبو أمه حيٌّ أبوه يقاربه[١]

يمدح الفرزدق بهذا البيت إبراهيم بن هشام وهو خال هشام بن عبد الملك, وتكاد تجمع كتب البلاغة قديمها وحديثها على إيراد هذا البيت شاهداً على التعقيد والتعقيد اللفظي, فقد أورده إبن قتيبة في القرن الثالث الهجري في كتابه "المعاني الكبير في أبيات المعاني", حيث لخَّص البيت بقوله: (وما مثله في الناس حيٌ يقاربه إلاَّ مملكاً أبو أمه)[٢].

وفي ذات القرن الثالث الهجري قبل ظهور مصطلح التعقيد اللفظي يأتي المبرد في كتابه "الكامل في اللغة والأدب" ليقف في هذا البيت ويقول: (ولو كان هذا الكلام على وجهه لكان قبيحاً, وكان يكون إذا وضع الكلام في موضعه أن يقول: (وما مثله في الناس حيٌ يقاربه إلا مملك أبو أم هذا المملك أبو هذا الممدوح, فدل على أنه خاله بهذا اللفظ البعيد وهجنه بما أوضع فيه من التقديم والتأخير...)[٣].

ويقول أبو علي الفارسي: (تقديره: وما مثله في الناس حيٌ يقاربه إلا مملكاً أبو أمه أبوه ففصل بين المبتدأ والخبر اللذين هما أبو أمه أبوه "بحي" وهو أجنبي منهما, وفصل بين الصفة والموصوف الذين هما "حيٌ يقاربه" بقوله: "أبوه" وهو أجنبي منهما.)[٤], وهنا كما رأى أبو علي القارسي قد اجتمعت فيه أقسام التعقيد اللفظي, لذلك نجد وصف هذا البيت في كثير من كتب البلاغة, يقول صاحب الإيضاح فيه: (فهو كما تراه في غاية التعقيد.)[٥], ويقول الرُماني عن بيت الفرزدق: (قد اجتمع في البيت أسباب الإشكال الثلاثة, سوء الترتيب, وبه تغيير نظام الكلام.)[٦]. وهذا الإشكال الأول الذي ذكره الرُماني هو التعقيد اللفظي لأن عموده في إخفاء المعنى سوء ترتيب الألفاظ, وجاء في صبح الأعشى عن هذا: (أفسده وعقَّد معناه وأخرجه عن حد الفصاحة إلى حد اللكنة.)[٧]

(١) المعاني الكبير في أبيات الشعراء: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة, تحقيق: المستشرق: سالم الكرتوكي, عبد الرحمن إلماني, مطبعة دار المعارف العثمانية, حيدر أباد, الهندط ١ ١٩٤٩م, دار الكتب العلمية, بيروت, ج ١, ص ٥٠٦

(٢) المعاني الكبير في أبيات الشعراء: الن قتيبة, ج ط ص ٥٠٦

(٣) الكامل في اللغة والأدب: محمد بن يزيد المبرد أبو العباس, المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم, دار الفك العربي, القاهرة, ط ٣ ١٩٩٧م, ج ١, ص ٢٨

(٤) كتاب الشعر: الحسين بن أحمد الفارسي أبو علي, تحقيق: محمود محمد الطناجي, مكتبة الخانجي, القاهرة , مرط ١ ١٩٨٨م, ص ٢٦٧

(٥) الإيضاح في علوم البلاغة: القزويني, ص ٣٢

(٦) علوم البلاغة, المراغي, ص ٣٠

(٧) صبح الأعشى: القلقشندي, ج ٢, ص ٢٨٦

وهذا البيت قد تناولته حتى كتب اللغة والنحو بشرحه وتحليله, منهم سيبويه, ومن جاء بعده, ولم يبلغوا منه ما يقنع ويرضي, وهذا الذي ورد في البيت يؤدي إلى خفاء الدلالة على المراد.

قول التعريف: (... حيث تكون الألفاظ غير مرتبة على وفق ترتيب المعاني...)

أي: إن الألفاظ لم تذكر مرتبة كما المعاني مرتبة في الفكر, والأصل أن ترتيب الألفاظ تبعاً للمعاني, لأن الألفاظ هي الحامل والموصل للمعنى من المتكلم للمخاطب, إذ إن الكلام ألفاظ تشتمل على معانٍ تدل عليها وتعبر عنها, ولا تعرف المعاني ولا ترتيبها إلا باللفظ, يقول إحسان عباس: (إن المعاني تتبين بالألفاظ, ولا سبيل لمن يرتبها إلى أن يدلنا على ما صنع في ترتيبها إلا بترتيب الألفاظ)(١).

فترتيب المعنى يظهره اللفظ, والكلام الفصيح لا يكون فصيحاً إلا إذا جاءت ألفاظه وفق ترتيب المعاني, في عقل صاحبها, ولأن ترتيب المعاني والفكر مشترك في البشر, لا يتغير باختلاف اللغات, يقول أبو هلال العسكري: (ومن عرف ترتيب المعاني واستعمال الألفاظ على وجوهها بلغة من اللغات, ثم انتقل إلى لغة أخري تهيأ له فيها من صنعة الكلام مثل ما تهيأ له في الأولى.)(٢)

ومما أخل الترتيب بفصاحته قول الشاعر أبي الطيب المتنبي:

جفخت وهم يجفخون بها بهم شيم على الحسب الأغر دلائل(٣)

كلمات البيت غير مرتبة, يقول ابن سنان الخفاجي: (يريد جفخت وهم لا يجفخون بها)(٤), وجاء في كتاب معجز أحمَّد: (جفخت وجفخ إذا افتخر, والشيم: الأخلاق, وقيل هي الدلائل, وفاعل جفخت شيم تقديره: جفخت بهم شيم وهم لا يجفخون بها... وهم لا يفتخرون بها, لأن صفاتهم أعظم من تلك الشيم, هي أشرف الشيم من حيث إنها دلائل على حسبهم الأغر الكريم .)(٥).

فالشاعر هنا قدم وأخر وفصل بين متجاورين, جاء في المنهاج الواضح: (فقد فصل بين الفعل والفاعل وهما "جفخت بهم" وهي جملة "لا يجفخون بها" الواقعة حالاً, بالجار والمجرور وهما قوله: "على الحسب الأغر" (٦) فتقدر البيت: افتخرت بهم شيم دلائل على الحسب الأغر وهم لا يفتخرون بها.

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب, إحسان عباس, ط ٤ ١٩٨٣م, الناشر: دار الثقافة, بيروت, لبنان, ص ٤٢٢

(٢) الصناعتين: أبو هلال العسكري, ج ١, ص ٦٩

(٣) الوساطة بين المتنبي وخصومه: القاضي الجرجاني, ص ٨٩

(٤) سر الفصاحة: أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخانجي, الناشر: دار الكتب العلمية, ط ١ ١٩٨٢م, ص ١١٣

(٥) معجز أحمد: أحمد بن عبد الله بن سلطان بن محمد, ص ١٥٤

(٦) المنهاج الواضح في البلاغة: حامد عوني, المكتبة الأزهرية للتراث, ج ١, ص ٢١

فبعدم ترتيب ألفاظ هذا البيت على حسب ترتيب المعنى خرج البيت من الفصاحة بعيب التعقيد اللفظي.

قول التعريف: (... بسبب تقديم أو تأخير...)

الأصل في الكلام أن يأتي كل لفظ في موضعه, فللكلام العربي وللجمل العربية, صور معهودة مألوفة في أن الفعل يتقدم على الفاعل, والمفعول به, والمبتدأ يتقدم على الخبر, ...إلخ, ولكل موضعه, وحتى يأتي الكلام فصيحاً فيجب أن لا يتقدم أو يتأخر ليتعسر فهم معنى الكلام, يقول صالح الشنطي: (فلا يكون هنالك تقديم أو تأخير يفسد المعنى ويصرفه عن وجهه.)(١), مثل ما جاء في قول الشاعر:

فأصبحت بعد خط بهجتها كأن قفزاً رسومها قلما

فالشاعر في هذا البيت قدم كلمة "خط" يقول ابن الأثير: (فإنه قدم خبر كان عليها وهو قوله "خط" وهذا وأمثاله مما لا يجوز قياس عليه, والأصل في هذا البيت (فأصبحت بعد بهجتها قفراً كأن قلماً خط رسومها), ومع التقديم كذلك فيه فصل بين متجاورين يقول عبد القادر البغدادي: (ففصل بين المضاف وهو "بعد" والمضاف إليه وهو "بهجتها" بالفعل الذي هو "خط" وتقدير البيت: (فأصبحت قفراً بعد بهجتها كأن قلماً خط سومها.)(٢)

فإن هذا البيت تتعثر في الوصول إلى معانيه بسبب التقديم وعدم الترتيب, جاء في المثل السائر: (وهذا البيت من أقبح هذا النوع لأن معانيه قد تداخلت)(٣).

ومما صعب الوصول إلى معناه وتعقد بسبب تقديم لفظ عن موضعه, قول الفرزدق:

إلى ملك ما أمه من محارب أبوه ولا كانت كليب تصاهره(٤)

هذا البيت للفرزدق يمدح فيه الوليد بن عبد الملك وتقديره: إلى ملك أبوه ما أمه, يقول أبو على الفارسي: (فتقديره أبوه ما أمه من محارب فقدم خبر المبتدأ وهو جملة, كما قدمه وهو منفرد نحو منطلق زيد.)(٥), فهذا التقديم أبهم معنى البيت, يقول السيد أحمد الهاشمي: (ولا شك أن هنا يفهم من كلامه للنظرة الأولي, بل يحتاج إلى تأمل وتريث ورفق, حتى يفهم المراد منه.)(٦), فهذا التقديم أبهم المعنى وعقده تعقيداً لفظياً بعدم الترتيب, ومثله في التعقيد بسبب التقديم قول الفرزدق:

(١) فن التحرير العربي ضوابطه وأنماطه: محمد صالح الشنطي, الناشر: دار الأندلس للنشر والتوزيع, السعودية, حائل,ط ٥ ٢٠٠١م, ص ٦٨.
(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي, تحقيق: عبد السلام هارون, الناشر: مكتبة الخانجي,ط ٤ ١٩٩٧م,ج ٤, ص ٤١٨
(٣) صبح الأعشى: القلقشندي,ج ٢, ص ٢٨٧.
(٤) كتاب الشعر: أبو على الفارسي, ص ١٠٩.
(٥) المصدر السابق. نفس الصفحة.
(٦) جواهر البلاغة: السيد الهاشمي, ص ١٢٣.

وليست خراسان التي كان خالد بها أسد إذ كان سيفاً أميرها[١]

الفرزدق هنا يمدح خالد بن الوليد عبد الله القسري, ويهجو أسد الذي خلف خالد في ولاية خراسان, لكنه قدم في البيت ما حقه التأخير, يقول ابن الأثير: (ليست خراسان البلدة التي كان خالد بها سيفاً إذ كان أسد أميرها.) وعلى هذا التقدير ففي "كان" الثانية ضمير الشأن, والحديث والجملة بعدها خبر عنها, وقد قدم بعض ما إذ مضافة إلىه, وهو أسد عليها, وفي تقديم المضاف إليه أو شيء منه على المضاف من القبح مالا خفاء به, وأيضاً فإن في أصله أسداً أحد جزئي الجملة المفسرة للضمير, والضمير لا يكون تفسيره إلا بعده)[٢].

والخفاء في ترتيب هذا البيت حيث تقديم "أسد" وكان حقه التأخير, مما أدى إلى تعقيد لفظي أخرج البيت من الفصاحة.

ومن خفاء الدلالة بسبب التقديم والتأخير قول الشماخ:

تخامص عن يرد الوشاح إذا مشت تخامص حافي الخيل في الأمعز الوجي[٣]

تخامص: كانت الكلمة تتخامص حذفت منها تاء, وهي بمعنى تتجافي عن المشي, برد الوشاح: بما زينت به من ودع يؤذيها, والحافي: الذي أصابه الحفا وهو رقة الحافر, الأمعز: الأرض ذات الحجارة, الوجي: الحافي.

تقدير البيت: يزيد تخامص حافي الخيل الوجي في الأمعز, ففي البيت تقديم وتأخير, حيث أخر كلمة "الوجي" وهي صفة الحافر, فأخرها وقدم عليها الجار والمجرور "في الأمعز" فهذا التقديم والتأخير أخلَّ بترتيب الألفاظ مما خفي وضوح دلالة الكلام على المراد محدثاً تعقيداً لفظياً في البيت.

ومن خلل الترتيب بالتقديم والتأخير, قول القلاخ:

فما من فتي كنا من الناس واحداً نبتغي منهم عميداً نبادله به[٤]

(١) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: نصر الله إبن محمد أبو الفتح ضياء الدين إبن الأثير, تحقيق: مصطفي الجواد,, الناشر: مطبعة المجمع العلمي, ١٩٧٥م, ص ١٧٣.

(٢) الجامع الكبير: إبن الأثير, ص ١١٣.

(٣) كتاب الشعر: إبن قتيبة, ص ٩٩.

(٤) شرح ديوان الحماسة: أبو علي أحمد بن محمد المرزوقي, تحقيق: غريد الشيخ, الناشر: دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ط ٢٠٠٣م, ص ٧٢٧.

واضح أن في البيت تقديم وتأخير, لأن تقديره حسب المعنى: فما فتى واحداً من الناس كنا نبتغي منهم واحداً نبادله به, لأنه لا نظير له منهم, ولا يوجد في الناس من يسد مكانه في السياسة والحكم.

يقول أبو علي الأصفهاني: (فما من فتى ... بيت فيه تقديم وتأخير وتلخيصه مبيناً معاداً كل شيء إلى موضعه: ما من فتي من الناس كنا نبتغي به واحداً منهم عميداً نبادله فعلى هذا قوله "من الناس" من صفة الفتى, وبه يعود الضمير إلى الفتى, والمعنى: كنا بسببه نبتغي واحداً منهم – أي من الناس – عميداً, من صفة الواحد, لأنا جعلنا واحداً مفعولاً لنبتغي, نبادله أي نبادل به الناس, فحذف الجار وقال نبادله.)[1]

ومن التقديم والتأخير في الترتيب المخل بالفصاحة, قول المتنبي:

فتبيت تُسئدُ مُسئِدا في نَيِّها إسادها في المهمة الإنضاء[2]

تُسئد مُسئِد من سئد أي دائم, النا الشحم, وإسادها: الإساد: إسراع السير, المهمة: الأرض الواسعة, والإنضاء: مصدر أنضاه وهي الهزال. وتقدير البيت: فتبيت هذه الناقة تسئد مسئد الانضاء في نيها إساداً مثل إسادها في المهمة.

وواضح من تقدير البيت: أن المتنبي قد عقَّد ألفاظ البيت بعدم الترتيب, جاء في معجز أحمد: (تبيت من أخوات كان واسمه ضمير الناقة, وتسئد: فعل في موضع نصب لأنه خبر "تبيت", ومسئداً: نصب على الحال من الضمير الذي فيه تبيت, وهو اسم الفاعل, وفاعله الانضاء وهو مرفوع به, لأن اسم الفاعل يعمل عمل الفعل, وإسادها: نصب, لأن وصف مصدر محذوف, كأنه قد أساد مثل إسادها, والضمير في إسادها, راجع إلى الناقة, والناصب قوله: مسئد.)[3].

ففي البيت تقديم وتأخير يقول أبو المعالي: (وقد كان يكفيه في هذا البيت التكرير, الذي لا فائدة فيه حتى أضاف إليه هذا التعقيد في التقديم والتأخير.)[4], وفيه صعوبة في فهم المعنى الذي يريده الشاعر, يقول أبو القاسم الأصفهاني إن المتنبي في هذا البيت: (عقَّد الألفاظ وعوَّصها وأظلم المعنى.)[5].

ومن أمثلة تعقيد الكلام بالتقديم والتأخير والحذف قول المتنبي:

الطيب أنت إذا أصابك طيبة والماء أنت إذا اغتسلت الغاسل[6]

(١) المصدر السابق: الصفحة نفسها.
(٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه: القاضي الجرجاني, ص ٨٩
(٣) معجز أحمد: أحمد بن محمد ص ١٠٨
(٤) التذكرة الحمدونية: أبو المعالي محمد بن حمدون, ج ٣, ص ٣١٤
(٥) الواضح في مشكلات شعر المتنبي: عبد الله عبد الرحمن الأصفهاني أبو القاسم, ص ٨
(٦) الوساطة بين المتنبي وخصومه: القاضي الجرجاني, ص ٨٩

تقدير البيت كما يقول الواحدي: (الطيب أنت طيبة إذا أصابك والماء أنت الغاسل له إذا اغتسلت, والمعنى أنت أطيب من الطيب وأطهر من الماء)[١], ففي البيت تقديم وتأخير عَقَّد المعنى وصعَّبه, لذلك جاءت له تقديرات مختلفة من العلماء, يقول أحمد بن سلمان المعري: (إذا أصابك الطيب فأنت طيبه, والماء الغاسل أنت إذا اغتسلت.)[٢].

الشاعر هنا في هذا البيت قدَّم وأخَّر وأضمر, يقول أبو المرشد: (قال إبن جني: نصب الماء لأنه معناه وأنت إذا اغتسلت الغاسل الماء إلا أنَّ انتصابه الآن ليس على الغاسل, لأن الصلة لا تعمل في الموصول ألا ترى أنه يجوز زايداً أنت الضارب, ولكنه منصوب بفعل مضمر يدل عليه الغاسل فكأنه قال وتغتسل الماء إذا اغتسلت.

وقال الطيب مبتدأ وأنت مبتدأ والغاسل خبر أنت وهو على تقدير الهاء كأنه قال: والماء أنت الغاسله إذا اغتسلت.)[٣].

ففي البيت عدم ترتيب, عقَّد اللفظ وأخفى المعنى, حتى أنَّ صاحب الوساطة وضَّح البيت تحت قوله: (أبو الطيب وتتعسَّف اللفظ)[٤].

قول التعريف: (... أو حذف أو إضمار...)

يعني أن الكلام يكون خفي الدلالة على المعنى المراد منه, لأن ألفاظه غير مرتبة على وفق ترتيب المعاني بسبب حدوث حذف أو إضمار في الكلام, وذكر كلمتي الحذف والإضمار, مع أنهما يأتيان بمعنى واحد غالباً, فالحذف هو: إسقاط جزء من الكلام, أو التركيب, والإضمار هو: إخفاء جزء من الكلام أو التركيب.

ولكن بعض العلماء فرَّق بين مصطلحي الحذف والإضمار, حيث جعل للإضمار شرط: بقاء أثر المقدر في الكلام ولا يشترط ذلك في الحذف, أي في الإضمار لابد ملاحظة المقدر.

وأيضاً نجد كثيراً من كتب النحو أو كتب التراث النحوي لم تفرق بين مصطلحي الحذف والإضمار, لذلك نجدهما يتبادلان بالذكر في الموضوع الواحد, فلا نجد بينهما فرقاً في كتاب شرح ابن عقيل, في شرحه قول المصنف:

إن مضمر اسم سابق فعلا شغل عنه: بنصب لفظه أو المحل[٥]

فالسابق أنصبه بفعل أضمرا حتماً موافق لما قد أظهرا

(١) شرح ديوان المتنبي: للواحدي, ص ٣٧ ١.

(٢)معجم أحمد: أحمد بن سليمان المعري, ص ١٥٥.

(٣) تفسير أبيات المعاني: أبو المرشد المعري, ص ٧٥

(٤) الوساطة بين المتنبي وخصومه: القاضي الجرجاني, ص ٣٩٠

(٥) شرح إبن عقيل على ألفية إبن مالك: تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد, الناشر: دار التراث, القاهرة, دار مصر للطباعة ط ٢٠, ١٩٨٠م ج ٢,ص ٢٩ ١

ومن خفاء المعنى بسبب الحذف أو الإضمار, قول الشاعر:

يدي لمن شاء رهن لم يذق جرعا من راحتيك دري ما الصاب والعسل[١]

هذا البيت فيه حذف أثر تأثيراً واضحاً في خفاء معناه, يقول أبو القاسم الآمدي: (لفظ هذا البيت مبني على فساد, لكثرة ما فيه من الحذف, فكأنه أراد بقوله "يدي لمن شاء رهن" أي: أصافحه وأبايعه معاقدة أو مراهنة إن كان لم يذق جرعاً من راحتك دري ما المصاب والعسل ومثل هذا لا يسوغ, لأنه حذف "إن" التي تدل للشرط, ولا يجوز حذفها لأنها إذا حذفت سقط معنى الشرط, وحذف "من" وهي الاسم الذي صلته "لم يذق" فاختل البيت وأشكل معناه)[٢].

وبسبب الحذف في البيت اختل معناه وأصبح فيه تعقيد لفظي خرج به من الفصاحة, يقول القاضي الجرجاني: (فحذف عمدة الكلام, وأخل بالنظم وإنما أراد يدي لمن شاء رهن إن كان لم يذق فحذف "إن كان" من الكلام, فأفسد الترتيب وأمال الكلام عن وجهته.)[٣].

ومما أخفي الحذف معناه وعقَّده, قول المتنبي:

كُفي أراني ويل لومك ألوما همٌّ أقام على فؤاد أنجما[٤]

ويل بمعنى ويحه, فؤاد أنجما أي فؤاد صادٍ, ففي البيت حذف أدي لخفاء المعنى, يقول البروجردي: (والمعنى إنَّه يقول: لعازلته: كُفي لومك أراني ألوم منك, أي أرى نفسي أقدر على اللوم منك.

فلومك نصب بوقوع كفي عليه, يتم الكلام فأبتدأ حاله يقول: حإلى هم أقام على فؤاد أنجم, فهو رفع لأنه خبر مبتدأ محذوف أو رُفع بالابتداء وخبره محذوف, كأنه يريد: همٌّ أقام على فؤاد أنجم شكواي.)[٥].

وجاء في معجز أحمد: (فيكون "همٌّ" مرفوع لأنه خبر مبتدأ محذوف وتقديره "حال همٌّ" هذه صفته, أو يكون مبتدأ وخبره محذوف تقديره: هم هذه صفته شكواي.)[٦].

(١) الموازنة بين أبي تمام والبحتري: أبو القاسم بن بشر الآمدي, تحقيق: أحمد صقر, نشر: دار المعارف ط ٤, ١٩٩٤م ج ١, ص ١٩٠.

(٢) الموازنة بين أبي تمام والبحتري: الآمدي ج ١, ص ١٩٠

(٣) الوساطة بين المتنبي وخصومه: القاضي الجرجاني, ص ٧٩

(٤) المصدر السابق, ص ٨٩

(٥) الفتح على أبي الفتح: محمد بن حمد بن محمد بن فورجه البروجردي, تحقيق: عبد الكريم الدجيلي, دار الشؤون الثقافية العامة, العراق, ص ٢٩٩.

(٦) معجز أحمد بن منقذ, ص ١٠.

واتفق العلماء على أن في البيت حذف لابد من تقديره حتى يستقيم المعنى فهذا أبو المرشد يري أن: ("همٌّ" مرفوع بقوله أراني, كأنه قال أراني لومك ألوما هم أقام على فؤاد أنجم, في أنحم ضمير يعود على الفؤاد, أي ذهب به كما يذهب السحاب المنجم.)[١].

ففي هذه الأمثلة أخل الحذف بترتيب الألفاظ مما أخفى المعنى وعقده فخرج بسببه الكلام من الفصاحة.

قرينة الحذف:

الحذف أو الإضمار إذا دلت عليه قرينة لفظية أو معنوية, قد لا يؤدي لخفاء المعنى وتعقيده, بل يكون الحذف هنا من جودة الكلام وفصاحته, ورأيناه جاء بمنتهى الفصاحة والإعجاز في قوله تعالى: (إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ)[٢]

جاء في تفسير الشعراوي: (فالمراد: لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ عذاب الْحَيَاةِ وَضِعْفَ عذاب الْمَمَاتِ.)[٣], فحذفت كلمة العذاب الأولى وكلمة عذاب الثانية, لدلالة كلمات الآية عليها, وجاء الحذف في الشعر في ابن مقيل:

هل الدهر إلا تارتان فمنهما أموت وأخرى أبتغي العيش أكدع[٤]

أي: منهما تارة أموت, وتارة أخرى أكدع, ابتغي العيش, يقول الآمدي: (يريد فمنهما "تارة أموت" فإن تأول متأول هذا البيت على ألفاظ أخرى محذوفة غير اللفظ الذي ذكرته فالاختلال يعد قائم لكثرة ما حذف منه, وسقوط الدليل عليه.)[٥]

ومن كلام الآمدي يتضح أنه إذا كانت هنالك قرينة في الكلام تدل على المحذوف لا يكون في الكلام خفاء وتعقيد في المعنى, وإلا فالخفاء قائم والتعقيد بائن, والخروج من الفصاحة لازم.

قول التعريف:

(...أو فصل بأجنبي بين الكلمات التي يجب أن تتجاور...)

(١) تفسير ابيات المعاني: أبو المرشد ص ٨٨

(٢) سورة الإسراء الآية ٧٥

(٣) تفسير الشعراوي – الخواطر: محمد متولي الشعراوي, الناشر: مطابع أخبار اليوم, ١٩٩٧م, ج ١٤, ص ٨٦٩٢

(٤) الكامل في اللغة والأدب: محمد بن يزيد المبرد أبو العباس, تحقيق: أبو الفضل إبراهيم, دار الفكر العربي, القاهرة, ط ٣, ١٩٩٧م, ص ١٣٢

(٥) الموازنة بين أبي تمام والبحتري: الآمدي, ج ١, ص ١٩٢

في اللغة هناك ألفاظ بحكم التركيب يجب أن تتجاور بعضها ببعض, ويُفصل بينهما أحياناً ليُحدث ذلك خللاً في التركيب يخفي المعنى, كما جاء في قول الشاعر:

فقد والشك بين لي عناء يوشك فراقهم صرد يصيح( ) [١]

تقدير البيت: فقد بين لي صرد يصيح فراقهم والشك لي عناء.

فإن في هذا البيت من ردئ الاعتراض وهو الفصل بين قد والفعل الذي هو بين, وذلك قبيح لقوة اتصال قد بما تدخل عليه من الأفعال ألا تراها تعد مع الفعل كالجزء منه ... وقد فصل في هذا البيت أيضاً بين المبتدأ والذي هو "الشك" وبين الخبر الذي هو "عناء" بقوله: "بين لي", وفصل بين الفعل الذي هو "بيَّن" وبين فاعله وهو صرد بخبر المبتدأ الذي هو "عناء", فجاء معنى البيت كما تراه كأنه صورة مشوهة قد نقلت أعضاؤها بعضها إلى مكان آخر.)( )

فهذا الفصل بين المبتدأ والخبر, وبين "قد" والفعل وبين الفعل وفاعله, أخفي معنى البيت وعقَّده حتى قال صاحب الطراز: (ومثل هذا قبيح لا يغتفر وهو في النثر أقبح منه في النظم.)( ) [٣]

وكذلك من الفصل بين المبتدأ والخبر قول الشاعر:

نظرت وشخصي مطلع الشمس ظله إلى الغرب حتى ظله الشمس قد غفل( ) [٤]

التقدير: نظرت مطلع الشمس, وشخصي ظله إلى الغرب حتى عقل الشمس, (وعلى هذا التقدير فقد فصل بـ "مطلع الشمس" بين المبتدأ الذي هو "شخصي" وبين خبره الجملة وهو قوله "ظله إلى الغرب" وأغلظ من ذلك أنه فصل بين الفعل وفاعله بالأجنبي... وهذا وأمثاله يُفسد المعنى ويُورثه اختلالاً.)( ). [٥]

ومن الفصل بأجنبي بين الألفاظ التي يجب أن تتجاور, الفصل بين الصفة والموصوف, في قول البحتري:

حلفتُ لها بالله يوم التفرُّق وبالوجد حتى قلبي بها المتعلق( ) [٦]

تقدير البيت: حلفت لها بيوم التفرُّق بالله وبالوجد من قلبي المتعلق بها.

---

(١) الجامع الكبير: إبن الأثير, ص ١١٢.

(٢) المثل السائر: إبن الأثيرج ٣,ص ٤٨

(٣) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيي إبن حمزة بن على بن إبراهيم الحسين العلوي, الناشر: المكتبة العصرية, بيروت ج ٢,ص ٩٣

(٤) الجامع الكبير: إبن الأثير, ص ١٢١.

(٥) المثل السائر: ضياء الدين إبن الأثيرج ٣,ص ٤٩

(٦) ديوان البحتري: ص ٤٨٦

مجلة جامعة شندي للعلوم الإنسانية والاجتماعية – / ISSN: 1858-9021 - https://journals.ush.edu.sd/ humanities

فالشاعر هنا فصل بين الموصوف "قلبي" والصفة "المتعلق" بالضمير الذي هو "بها" يقول ابن الأثير: (فلَّما فصل بين الموصوف الذي هو "قلبي" والصفة "التي هي "المتعلق" بالضمير الذي هو "بها" قبح ذلك ولو كان قال: "من قلبي بها متعلق" لزال ذلك القبح وذهب تلك الهجنة)[١].

ومن الفصل بين الموصول والصلة قول الفرزدق:

تعال فإن عاهدتني لا تخونني نكن مثل من يا ذئب يصطحبان[٢]

تقدير البيت: أي تعال نتعاهد فإن عاهدتني نكن يا ذئب مثل من يصطحبان – يقول القلقشندي: (يريد نكن يا ذئب مثل من يصطحبان.)[٣], ففي البيت فصل بين متجاورين يقول حامد عوني: (ففصل بين الموصول وصلته وهما "من" "يصطحبان" بأجنبي وهو قوله: "يا ذئب" فتعقد اللفظ نوع تعقيد.)[٤].

ومن الفصل بأجنبي بين المضاف والمضاف إليه قول المتنبي:

حملت إليه من ثنائي حديقة سقاها الحِجي سقي الرياض السحائب[٥]

تقدير البيت: حملت إليه من ثنائي أو مدحي حديقة أو قصيدة سقاها الحجي "العقل" سقي السحائب الرياض.

ففصل بين المضاف والمضاف إليه "سقي السحائب" بكلمة "الرياض" وهي مفعول به, يقول الروجردي: (فرَّق بين المضاف والمضاف إليه بلفظ الرياض, فيريد: سقي السحائب الرياض.)[٦]. وإلى نفس المنحى ذهب[٦] صاحب معجز أحمد بقوله: (تقدير البيت: سقي السحائب الرياض أخَّر السحائب, بإضافة السقي إليها, وفصل بين المضاف والمضاف إليه يقول حملت إليه حديقة من المدح, سقاها العقل كما يسقي السحاب الروض, وذلك لأنه بالعقل يرتب مثل هذا الترتيب, وبه يستخرج هذه المعاني.)[٧]

ومثل الفصل بين المضاف والمضاف إليه أيضاً قول أبي حيَّه:

(١) المثل السائر: ضياء الدين إبن الأثيرج ١,ص ٣١٩

(٢) الصناعتين: العسكري, ص ١٦٢

(٣) صبح الأعشى: القلقشنديج ٢,ص٢٨٧

(٤) المنهاج الواضح للبلاغة: ص ٢١

(٥) الوساطة بين المتنبي وخصومه: القاضي الجرجاني, ص ٤٦٤

(٦) الفتح على أبي الفتح: الروردي, ص ٤٣

(٧) معجز أحمد: أحمد بن منقذ, ص ٩٠

كما خط الكتاب بكف – يوما – يهودي يُقارب أو يزيل[١]

التقدير: كما خط الكتاب بكف يهودي يوماً يقارب أو يزيل ففصل بين المضاف والمضاف إليه "بكف يهودي" بظرف زمان وهو "يوماً": يقول أبن عصفور: (يريد بكف يهودي – يوماً فقدم الظرف بين المضاف والمضاف إليه.)[٢].

هذا الفصل بين المضاف والمضاف إلـه بالظرف أخل بترتيب البيت وعقَّد المعنى, يقول أبو الحسن العلوي في وصف هذا البيت مع أبيات أخرى: (فهذا من الكلام الغث المستكره الغلق)[٣].

وغير كثير قد يأتي الفصل بين الجار والمجرور, ومنه قول الشاعر:

مُخلقة لا يُستطاعُ ارتقاها وليس إلى – منها النزول سبيل[٤]

فصل بين حرف الجر "إلى" والاسم المجرور "النزول" بـ "منها" فأخل بالترتيب مما أخفى المعنى.

تقدير البيت: أي: أن هذه النطفة لا يُستطاع إلى طلوعها أو ليس هناك إلى النزول سبيل منها, جاء في كتاب ضرائر الشعر: (فقدم "منها" وفصل به بين حرف الجر والمجرور.)[٥]

أقسام التعقيد اللفظي:

يري بعض علماء البيان المحدثين أن للتعقيد اللفظي أقسام, منهم صاحب كتاب "شرح الجوهر المكنون", ومنهم صاحب كتاب المنهاج الواضح للبلاغة, حيث يقول في تعريف التعقيد اللفظي: (وهو على ضربين: شديد وخفيف, ونجده يمثل لشديد بقول الفرزدق:

وما مثله في الناس إلى مملكاً أبو أمه حي أبوه يقاربه

ويقول الشاعر:

فأصبحت بعد خط بهجتها كأنَّ قفراً رسومها قلماً[١]

(١) البرصان والعرجان والعمیان والحولان: عبد بن بحر أبو عثمان الحافظ, الناشر: دار الجیل بیروت ط١, ١٤١٠ هـ, ص ٢١٥.

(٢) ضرائر الشعر: على بن مؤمن إبن عصفور, تحقيق: السيد إبراهيم محمد, الناشر: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ط ١, ١٩٨٠م, ص ١٩٢.

(٣) عيار الشعر: محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا الحسن العلوي أبو الحسن, تحقيق: عبد العزيز المانع, الناشر: مكتبة الخانجي, القاهرة, ص ٧٢

(٤) ضرائر الشعراء: إبن عصفور, ص ٢٠١.

(٥)المرجع السابق, الصفحة نفسها.

وهذان البيتان هما اللذان ذكرهما صاحب الجوهر المكنون شواهد على القسم الأول "التعقيد اللفظي الشديد".

ويذكر حامد عوني الضرب الثاني: تعقيد لفظي خفيف: ومثل له بقول المتنبي:

جفخت وهم لا يجفخون بها بهم شيم على الحسب الأغر دلائل[٢]

وقول الفرزدق يصف ذئباً:

تعال فإن عاهدتني لا تخونني نكن مثل من يا ذئب يصطحبان[٣]

وكذلك هذه الشواهد أوردها صاحب الجوهر المكنون في كتابه ممثلاً بها الضرب الثاني وهو "التعقيد اللفظي الخفيف".

كيف يعرَّف التعقيد اللفظي:

جاء في بعض المراجع أن التعقيد اللفظي يعرف بعلم النحو, يقول السيد الهاشمي: (ضعف التأليف والتعقيد اللفظي يعرفان بعلم النحو.)[٤], وبما أن التعقيد اللفظي هُو أن يختل ترتيب الكلام ليخفى المعنى المقصود, وترتيب الكلام في النحو فيه قواعد معروفه من تقديم الفعل على المفعول, والمبتدأ على الخبر, والصفة على الموصوف... وغيرها, إلاَّ أن التعقيد اللفظي قد يقع بما يجوز في علم النحو, يقول المراغي: (قد يحصل التعقيد بإجماع عدة أمور موجبة لصعوبة فهم المعنى, وإن كان كل منهما جارياً على قانون النحو.)[٥].

مخالفة القانون النحوي ليس شرطاً لتحقق التعقيد اللفظي, يقول حامد عوني: (قد يُقال إن التعقيد اللفظي ليس بلازم أن يكون منشؤه مخالفة القانون النحوي, بل قد يكون سببه اجتماع أمور, كل منها جائز الاستعمال عند النحاة جار على قوانينهم ... والنحو يُبين فيه ما هو الأصل, وما هو خلاف الأصل, وإذاً يعرف التعقيد اللفظي الناشئ من أمور خُولف فيها الأصل.)[٦]

ومما ذُكر يتضح إن التعقيد اللفظي يُعرف غالباً بمخالفة قواعد النحو الأصلية والتي تأتي على غير الأصل في ترتيب التراكيب في الجمل العربية, على تعدد أشكالها سواء كانت فعل وفاعل ومفعول به, أو مبتدأ وخبر, أو ....

الفرق بين التعقيد اللفظي والمعنوي:

---

(١) المنهاج الواضح للبلاغة: حامد عوني, ص ٢١

(٢) المنهاج الواضح للبلاغة: حامد عوني, ص ٢١

(٣) المرجع السابق, الصفحة نفسها.

(٤) جواهر البلاغة: السيد أحمد الهاشمي, ص ٤٣

(٥) علوم البلاغة: المراغي, ص ٢٩

(٦) المنهاج الواضح للبلاغة: حامد عوني, ص ٢١

التعقيد هو الخفاء الناتج من تركيب الكلام, وهذا التركيب وضع ليدل على معنى, وهذا الخفاء إن كان سببه تقديم الألفاظ أو تأخيرها, أو فصل بين متجاورها, فهذا تعقيد لفظي, وإن كان التركيب لا يدل على المعنى المراد منه لعدم وجود وسائط تدل عليه, أو استخدام كنايات و مجازات في غير ما عُهد استخدامها فيها فهذا تعقيد معنوي.

فما أختص بترتيب ألفاظ الكلام فهو تعقيد لفظي. مثل قول المتنبي:

أنيّ يكون أبا البرية آدم وأبوك والثقلان أنت محمد

فهذه الألفاظ غير مرتبة مما أحدث تعقيداً لفظياً ولو رتبها حسب المعنى لكان القول: (أنَّي يكون آدم أبا البرية وأبوك محمد وأنت الثقلان).

وما اختص بمعنى تركيب الكلام فهو "تعقيد معنوي" مثل: (نشر الملك ألسنته في المدينة), يريد القائل منه (نشر جواسيسه) والمعهود أن الجاسوس يُطلق عليه اسم "العين" لأنها آلته في التجسس, أما إطلاق كلمة "ألسنته" وإرادة الجواسيس فهذا تعقيد معنوي, لأن اللسان لا يوصل إلى معنى الجاسوس, فكان عليه والمعهود في التعبير أن يقول (نشر الملك عيونه في المدينة).

التعقيد اللفظي والمعاظلة:

المعاظلة لغة:

المعاظلة لغة تعني ركوب الشيء بعضه بعضاً وهو من عظل (وعظل العِظال ككتاب, كالمعاظلة والتعاظل والاعتظال, وقد عاظلت معاظلة وعظالاً وتعاظلت واعتظلت.)[١], وتكاد تجمع المعاجم علىٰ أن المعاظلة: ملازمة السفاد, جاء في لسان العرب: (العِظال: الملازمة في السِّفاد, وعظلت وعظَّلت: ركب بعضها بَعضاً ... وعاظلت الكلاب مُعاظلة وعِظالاً وتعاظلت: لزم بعضها بعضاً في السِّفاد.)[٢].

والمعاظلة تعني مداخلة الكلام بعضه ببعض, جاء في مفتاح العلوم: (ومن عيوب الكلام: المعاظلة والتعقيد وهو مداخلة الكلام بعضه في بعض حتى لا يفهم إلا بكد الخاطر وتكرار السماع أو النظر.)[٣]

وقد تحدث العلماء عن المعاظلة وعرَّفوها عدداً من التعريفات, فهذا أبو هلال العسكري يقول فيها: (فمن سوء النظم المعاظلة)[٤], وعرَّفها إبن الأثير بقوله: (التأليف الكلام الذي تداخلت معانيه وركب بعضها فوق بعض.)[٥].

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمد بن محمد بن عبد العزيز مرتضي الزبيدي, تحقيق: مجموعة من المحققين, الناشر: دار الهداية, مادة "عظل" ج ٢٠ ص ٢١.

(٢) لسان العرب: إبن منظور, فصل العين المهملة ج ١١, ص ٤٥٦

(٣) مفاتيح العلوم: محمد بن أحمد بن يوسف البلخي الخوارزمي, تحقيق: إبراهيم الأبياري, الناشر: دار الكتاب العربي ط ٢, ص ٩٩

(٤) الصناعتين: أبو هلال العسكري, ص ١٦٢.

ومن العلماء جعلها والتعقيد سواء – مسمى واحد – كما جاء في صبح الأعشى: (وإنما قبح لأنك أفسدت نظام اللفظ بالتقديم والتأخير وهذا النوع يسميه علماء المعاني التعقيد وسماه إبن الأثير في "المثل السائر" المعاظلة المعنوية.)[١], ومثله ما جاء قبله في الكّتاب نفسه تحت عنوان: (ما كان مستقيماً قبيحاً كقولك: قد زيداً رأيت, قال في الصناعتين: (وإنما قبح لأنك أفسدت نظام اللفظ بالتقديم والتأخير وهذا النوع يسميه علماء المعاني التعقيد وسماه إبن الأثير في "المثل السائر" المعاظلة المعنوية.... وهو من المذموم المرفوض عند أهل الصنعة لأن المعنى يختل ويضطرب.)[٢].

وإطلاق اسم المعاظلة على التعقيد جاء في كثير من كتب السابقين وتبعهم عدد من المعاصرين, جاء في جواهر البلاغة: (من أحوال التقديم ما يخل بالمعنى ويضطرب وذلك هو التعقيد اللفظي أو المعاظلة. كتقديم الصفة على الموصوف والصلة على الموصول أو نحو ذلك من الأنواع التي خرجت من الفصاحة.)[٣].

أقسام المعاظلة:

وقد قسم بعض العلماء المعاظلة إلى قسمين, يقول إبن الأثير: المعاظلة: معاظلتان: لفظية ومعنوية)[٤].

القسم الأول:

المعاظلة اللفظية:

وقد أورد لها العلماء تعريفات ليست ببعيدة عن بعضها, فهذا قدامة بن جعفر, التعاظل في الكلام هو: (أن يدخل بعضها فيما ليس من جنسه وما هو غير لائق به وما أعرف ذلك إلا فاحش الإستعارة)[٥].

ولعل إبن قتيبة هنا يريد أن يطابق بين المعاظلة اللفظية والتعقيد المعنوي, ويتضح ذلك في الشاهد الذي أورده أوس بن حجر:

وذاتُ هِدمٍ عارٍ نَواشرُها تُصِمتُ بالماءِ تَولَباً جَدِعاً[٦]

(١) الجامع الكبير: ابن الأثير, ص ٢٣٠.
(٢) صبح الأعشى: القلقشندي,ج ٢,ص ٢١٠.
(٣) المصدر السابق,ج ٢,ص ٢٠٩.
(٤) جواهر البلاغة: السيد أحمد الهاشمي, ص ١٢٣.
(٥) المثل السائر: إبن الأثير,ج ١,ص ٣٠٥
(٦) نقد الشعر: قدامة بن جعفر بن قدامة, الناشر: مطبعة الجوائب, قسطنطينةط ١,١٣٠ هـ, ص ٦٦
(٧) المصدر السابق, نفس الصفحة.

فسمي الصبي: تولباً, التولب يطلق على ولد الحمار. فتولباً جدعاً يريد بها الشاعر ولد الظبي, فهذا الاستخدام غير معهود مما عقد المعنى (تعقيد معنوي), فجعل ابن قتيبة المعاظلة اللفظية هي التعقيد المعنوي, وسار العلماء الذين جاءوا بعده على هداه.

القسم الثاني:
المعاظلة المعنوية:

فهو أن يقدم ما الأولى به التأخير لأن المعنى يختل بذلك ويضطرب, هو ما يعرف بـ (المعاظلة المعنوية) ... كتقديم الصفة أو ما يتعلق بها على الموصوف ... وغيرها, فمن هذا القسم قول الشاعر:

فقد والشك بين لي عناء يوشك فراقهم صرد يصيح

فقدم قوله "يوشك فراقهم" وهو معمول يصيح و"يصيح" صفة "لصرد" وذلك قبيح)[١], وهذا واضح في هذا الشاهد فيه تقديم لألفاظ, والتقديم والتأخير هو "تعقيد لفظي".

التعقيد اللفظي وضعف التأليف:

ضعف التأليف هو: (أن يكون الكلام جارياً على خلاف ما أشتهر من قوانين النحو المعتبرة عند جمهور العلماء كوصل الضميرين, وتقديم غير الأعرف منهما على الأعرف ... وكالإضمار قبل ذكر مرجعه لفظاً ورتبة وحكماً في غير أبوابه...)[٢].

التعقيد اللفظي وضعف التأليف يجتمعان في بعض الأمثلة, ويتفرد كل واحد منهما في أمثلة أخرى فمن اجتماعهما ما جاء في قول الشاعر الفرزدق:

وما مثله في الناس إلا مملكاً أبو أمه حيٌّ أبوه يقاربه

وتقدير البيت: وما مثله في الناس حيٌّ أبوه يقاربه أبو أمه أبوه.

ويتفرد التعقيد مثل: إلاَّ عمراً الناس ضاربُ زيد, بتقديم وتأخير , وتقدير الكلام: زيد ضارب الناس إلا عمراً.

(١) المثل السائر: إبن الأثيرج ٢,ص ١٨٠.

(٢) جواهر البلاغة: السيد أحمد الهاشمي, ص ١٣.

وينفرد ضعف التأليف: كما جاء في قول الشاعر:

ليس إلاك يا على همام سيفه دون عرضه مسلول

ومثله:

وما عليك إذا ما كنت جارتنا ألاَّ يجاورنا إلاك ديارا

ففي هذين البيتين وقع الضمير المتصل بعد "إلا" في قوله "إلاك" وهذا مخالف لما ارتضاه الجمهور.)[1]

التعقيد اللفظي لا يغني عنه ضعف التأليف, جاء في كتاب البلاغة العربية: (وهذا العيب – التعقيد اللفظي – أشد نكارة وبعداً عن فصيح الكلام من عيب "ضعف التأليف" ولا يغني عن ذكره وبيانه ذكر عيب ضعف التأليف.)[2]

التعقيد اللفظي وضعف التأليف لكل تعريفه وحدوده لكن بينهما التقاء وافتراق ومما يُقال في علاقتهما أنه لا سبب للتعقيد سوى ضعف التأليف يقول حامد عوني في ذلك: (أجيب أولاً: بأنا لا نسلم أن التعقيد اللفظي لا سبب له سوي ضعف التأليف, ذلك أن التعقيد المذكور قد يتحقق بدون ضعف تأليف كما في قولك: (إلا عمراً ألوم هازم محمد) ففي هذا التركيب تقديم للمثني والمفعول والخبر وكل هذه الأمور أجازها جمهور النحاة وفق المشهور من قوانينهم والتركيب مع ذلك. معقد لصعوبة فهم المراد منه فقد تحقق التعقيد بدون ضعف التأليف.)[3] وبكلام حامد عوني يتضح[4] عدم صحة القول أنه لا سبب للتعقيد اللفظي سوي ضعف التأليف. ويقول حامد عوني: (وأجيب ثانياً: بأن التعقيد لازم للضعف, وإن كل ضعف يوجب تعقيداً, فإن في قولنا: جاءني أحمدٌ "بالتنوين" ضعف تأليف, لمخالفته قانون النحاة وهو – مع ذلك – خلو من التعقيد لظهور المعنى المراد منه فقد وجد الضعف من غير تعقيد.)[4]

فهذه العلاقة بين التعقيد اللفظي وضعف التأليف يشتركان في بعض الشواهد وينفرد كل منهما بشواهد لوحده, وليس أحدهما سبباً في الآخر ولا لازماً له.

الحمد لله – هذا جهدنا في توضيح العيب الثالث من عيوب فصاحة الكلام الستة أو السبعة حسب تقسيم وترتيب بعض علماء البيان, وقد شملت الدراسة تعريف التعقيد اللفظي بإيراد شواهده ودراستها, ووقفت الدراسة على أقسام التعقيد اللفظي وقرينته, وكيفية معرفته, وعلاقته بالمعاظلة والمعاظلة المعنوية, وعلاقته بضعف التأليف.

(١) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية إبن مالك: أبو محمد بدر الدين حسن المالكي, تحقيق: عبد الرحمن على سلط ن, الناشر: دار الفكر العربيط ١ ٢٠٠٨مج ١,ص ٣٥٩

(٢) البلاغة العربية: عبد الرحمن بن حسن حنبكة الميداني, الناشر: دار القلم, دمشق, الدار الشامية, بيـ توط ١ ١٩٩٦مج ١,ص ١٢٣

(٣) المنهاج الواضح: حامد عونيج ٣,ص ٤١

(٤) المرجع السابق, نفس الصفحة.

المصادر المراجع:

1. القرآن الكريم.
2. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن, المؤلف: عبد العظيم بن عبد الواحد إبن الأصبع العدواني, تحقيق: حنفي محمد شرق, الناشر: الجمهورية العربية المتحدة, المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
3. جواهر البلاغة في المعاني والبيان البديع: السيد أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي, توثيق: يوسف الصملي, الناشر: المكتبة العصرية, بيروت.
4. البصائر والذخائر: أبو حيان التوحيدي علي بن محمد العباسي, تحقيق: وداد القاضي, الناشر: دار صادر, بيروت, ط١, ١٩٨٨م.
5. المستطرف في كل فن مستظرف: شهاب الدين محمد أحمد ابن منصور الإبشيهي أبو الفتح, الناشر: عامل الكتب, بيروت, ط١ ١٤١٩هـ.
6. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة: عبد المتعال الصعيدي, الناشر: مكتبة الآداب, ط١٧ ٢٠٠٥م.
7. علوم البلاغة "البيان, المعاني, البديع": أحمد بن مصطفي المراغي.
8. كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي, تحقيق: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي, الناشر: دار ومكتبة الهلال.
9. لسان العرب: محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين إبن منظور, الناشر: دار صادر, بيروت, ط٣ ١٤١٤هـ.
10. شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاث الفنون: أبو عبد الله أحمد بن أحمد بن عمر بن مساعد, موقع الشيخ الحازمي http://alhazmee.net .
11. شرح مائة المعاني والبيان: أبو عبد الله أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي, مصدر الكتاب موقع الحازمي http://alhazmee.net .
12. الجامع لأحكام القرآن: تفسير القرطبي, محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي, تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أفطيش, الناشر: دار الكتب المصرية, القاهرة, ط٢ ١٩٦٤م.
13. مختار الصحاح: زين العابدين محمد بن أبي بكر الرازي, تحقيق: يوسف الشيخ محمد, الناشر: المكتبة العصرية, الدار النموذجية, بيروت, صيدا, ط٥ ١٩٩٩م.
14. الصناعتين: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد العسكري, تحقيق: على محمد البجاوي وأبو الفضل إبراهيم, المكتبة العصرية, بيروت, ١٤١٩هـ.

15. مفتاح العلوم: يوسف بن أبي بكر بن محمد السكاكي أبو يعقوب, ضبطه وعلق عليه: نعيم زرزور, دار الكتب العلمية, بيروت, ط٢, ١٩٨٧م.

16. البديع في نقد الشعر: أبو المظفر مجد الدين أسامة بن منقذ, تحقيق : أحمد بدوي و حامد عبد المجيد, الجمهورية العربية المتحدة, الإدارة العامة للثقافة.

17. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: أحمد بن على بن أحمد القلقشندي, دار الكتب العلمية, بيروت.

18. الصورة الأدبية تاريخ ونقد: علي صبيح, دارى التراث العربية.

19. خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني: محمد محمد أبو موسي, مكتبة وهبة.

20. أسرار البلاغة: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني, تحقيق: محمود محمد شاكر, الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة.

21. شرح ديوان المتنبي: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي.

22. الوساطة بين المتنبي وخصومه: أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني, تحقيق: أبو الفضل إبراهيم, على البجاوي, مطبعة عيسي البابي الحلبي.

23. الصبح المنبى عن حيثية المتنبي: يوسف البديعي الدمشقي, الناشر: المطبعة العامرة الشرقية, ط١ ١٣٠٨هـ.

24. الإيضاح في علوم البلاغة: محمد بن عبد الرحمن جلال الدين القزويني, تحقيق: محمد عبد المعنى خفاجي, دار الجيل , بيروت, ط٣.

25. المعاني الكبير في أبيات الشعراء: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة, تحقيق: المستشرق: سالم الكرتوكي, عبد الرحمن إلماني, مطبعة دار المعارف العثمانية, حيدر أباد, الهند, ط١ ١٩٤٩م, دار الكتب العلمية, بيروت.

26. الكامل في اللغة والأدب: محمد بن يزيد المبرد أبو العباس, المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم, دار الفك العربي, القاهرة ط٣ ١٩٩٧م.

27. كتاب الشعر: الحسين بن أحمد الفارسي أبو علي, تحقيق: محمود محمد الطناجي, مكتبة الخانجي, القاهرة , مر, ط١ ١٩٨٨م.

28. تاريخ النقد الأدبي عند العرب, إحسان عباس, ط٤ ١٩٨٣م, الناشر: دار الثقافة, بيروت, لبنان.

29. سر الفصاحة: أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخانجي, الناشر: دار الكتب العلمية, ط١ ١٩٨٢م.

30. معجز أحمد: أحمد بن عبد الله بن سلمان بن محمد.

31. المنهاج الواضح في البلاغة: حامد عوني, المكتبة الأزهرية للتراث.

32. فن التحرير العربي ضوابطه وأنماطه: محمد صالح الشنطي, الناشر: دار الأندلس للنشر والتوزيع, السعودية, حائل, ط٥ ٢٠٠١م.

33. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي, تحقيق: عبد السلام هارون, الناشر: مكتبة الخانجي, ط٤ ١٩٩٧م.

34. الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: نصر الله إبن محمد أبو الفتح ضياء الدين إبن الأثير, تحقيق: مصطفي الجواد,, الناشر: مطبعة المجمع العلمي, ١٩٧٥م.

35. شرح ديوان الحماسة: أبو على أحمد بن محمد المرزوقي, تحقيق: غريد الشيخ, الناشر: دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ط ٢٠٠٣م.

36. التذكرة الحمدونية: أبو المعإلى محمد بن حمدون.

37. الواضح في مشكلات شعر المتنبي: عبد الله عبد الرحمن الأصفهاني أبو القاسم.

38. تفسير أبيات المعاني: أبو المرشد المعري.

39. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد, الناشر: دار التراث, القاهرة, دار مصر للطباعة, ط٢٠, ١٩٨٠م.

40. الموازنة بين أبي تمام والبحتري: أبو القاسم بن بشر الآمدي, تحقيق: أحمد صقر, نشر: دار المعارف, ط٤, ١٩٩٤م.

41. الفتح على أبي الفتح: محمد بن حمد بن محمد بن فورجه البروجردي, تحقيق: عبد الكريم الدجيلي, دار الشؤون الثقافية العامة, العراق.

42. تفسير الشعراوي – الخواطر: محمد متولي الشعراوي, الناشر: مطابع أخبار إلىوم, ١٩٩٧م.

43. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيي بن حمزة بن على بن إبراهيم الحسين العلوي, الناشر: المكتبة العصرية, بيروت.

44. المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر: نصر الدين محمد أبو الفتح إبن الأثير, المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد, الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر, بيروت, ١٤٢٠هـ.

45. البرصان والعرجان والعميان والحولان: عمرو بن بحر أبو عثمان الحافظ, الناشر: دار الجيل بيروت, ط١, ١٤١٠هـ.

46. ضرائر الشعر: على بن مؤمن إبن عصفور, تحقيق: السيد إبراهيم محمد, الناشر: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع, ط١, ١٩٨٠م.

47. عيار الشعر: محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا الحسن العلوي أبو الحسن, تحقيق: عبد العزيز المانع, الناشر: مكتبة الخانجي, القاهرة.

48. تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمد بن محمد بن عبد العزيز مرتضي الزبيدي, تحقيق: مجموعة من المحققين, الناشر: دار الهداية.

49. مفاتيح العلوم: محمد بن أحمد بن يوسف البلخي الخوارزمي, تحقيق: إبراهيم الأبياري, الناشر: دار الكتاب العربي.

50. نقد الشعر: قدامة بن جعفر بن قدامة, الناشر: مطبعة الجوائب, قسطنطينة, ط١, ١٣٠٢هـ.

51. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية إبن مالك: أبو محمد بدر الدين حسن المالكي, تحقيق: عبد الرحمن على سلمان, الناشر: دار الفكر العربي, ط١ ٢٠٠٨م.

52. البلاغة العربية: عبد الرحمن بن حسن حنبكة الميداني, الناشر: دار القلم, دمشق, الدار الشامية, بيروت, ط١ ١٩٩٦م.